مجلة تدبر

البحث الثالث :

التَّسَامُحُ وَأَثَرُهُ فِي تَرْسِيخِ الأَمْنِ الاِجْتِمَاعِيِّ فِي ضَوْءِ القُرْآنِ الكَرِيمِ

د. وَفَاءُ بِنْتُ صَالِحِ الفَايِزِ

أستاذ العقيدة والثقافة الإسلامية المساعد بقسم الدراسات الإسلامية

كلية الآداب - جامعة الملك فيصل بالأحساء

Drwafa1@hotmail.com

- حصلت على درجة الماجستير من كلية التربية بجامعة الملك سعود بالرياض باطروحته : مباحث العقيدة في الحزب الستين من القرا ن الكريم.
- حصلت على درجة الدكتوراه من جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن بالرياض باطروحته : أراء الحكيم الترمذي توفي عام (٣٢٠هـ) في العقيدة والتصوف عرضاً ودراسة.
- من مؤلفاتها:
- الغلو والتكفير في ندوة السلفية بجامعة الإمام محمد بن سعود.
- دور الإعلام على المرأة المسلمة المعاصرة تحديات وأخطار ونشر في اعمال مؤتمر المرأة بجامعة القصيم.

ملخص البحث

إن التسامح تشريع رباني أصيل يرسخ به أمن المجتمعات، وقد عني القرآن الكريم بتثبيت أواصره لتستقر الأمة كلها، لا سيما في ظل حقد الحاقدين، لذا خاطب الإسلام الوجود كله وطالبه بترسيخ التسامح لتناغمه مع طبيعة الحياة فيه.

وإن القرآن الكريم بترسيخه التسامح في المجتمعات أعفى البشرية من تولي وضع النظم الفكرية عن التخطيط لحياة الإنسان الكريمة، فنظامه قائم صالح، ونظام الإسلام هو النظام الوحيد الصالح لبقاء الحياة الصالحة الآمنة، ومنهج الإسلام وإلى يوم القيامة ثابت على مبدأ إحياء التسامح بين الناس، فثم تكامل بين التسامح والأمن، وإن المطالع لآي الله في القرآن الكريم ؛ يجد ما يرجوه من منهج حياة يرسم خطو السير الحياتي على مبدأ التسامح في الدولة الواحدة، فحين نادى القرآن البشرية في هذا الجانب، ناداها على اعتبار حقيقتها الإنسانية مذكرا إياها بأصل خلقتها، وجامعية خلقها، والقرآن ملئ بالدساتير التسامحية، ورسالته السمحة رسالة شاملة موجهة إلى جميع الناس مع إلزامية صيانة أمن الإنسانية على مبدأ التسامح، والمتحقق في التوجيه الرباني في القرآن ؛ يجد ما يحقق طلبته في إثبات أصالة التسامح في ترسيخ الأمن الاجتماعي .

كلمات مفتاحية :

التسامح، الأمن، المجتمع، الإسلام، القرآن، تحقيق.

❊ ❊ ❊

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمة

الحمد لله رب العالمين، أحمده سبحانه على السراء والضراء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، خاتم الرسل وأفضل الأنبياء، اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه، **أما بعد:**

فإن التسامح تشريع رباني أصيل يُرسِّخ به أمن المجتمَعات، وقد عني القرآن الكريم بتثبيت أواصره لتستقر الأُمّة كلها، لا سيما في ظل رسائل المُغرضين وتدابير الحاقدين؛ لذا خاطب الإسلام الوجود كله، وطالبه بترسيخ التسامح لتناغمه مع طبيعة الحياة فيه.

إن القرآن الكريم بترسيخه التسامح في المجتمعات أعفى البشرية، ومنهج الإسلام منذ وُجدَت قصة الإنسان على الأرض وإلى قيام الساعة قائم، ويكفل الأمن والتسامح، وإن المُطالِع لآيات القرآن الكريم يجد ما ينشده من حياة كريمة على مبدأ التسامح في الدولة الواحدة، فحين نادى القرآن البشرية في هذا الجانب، ناداها على اعتبار حقيقتها الإنسانية مُذكِّرًا إياها بأصل خلقتها، وجامعية خلقها، فقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ﴾ [النساء: ١]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ [الحجرات: ١٣].

كما وجَّه المسلمين إلى كيفية التعامل بالتسامح حتى مع الأغيار، فقال: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة: ٨]، والقرآن مليء بهذه الدساتير التسامحية، ورسالته السمحة رسالة شاملة موجَّهة إلى جميع الناس، مع إلزامية صيانة أمن الإنسانية على مبدأ التسامح، والمتحقِّق في التوجيه الرباني في القرآن، يجد ما يُحقِّق طِلْبَتَه في إثبات أصالة التسامح في ترسيخ الأمن الاجتماعي.

أولًا: أهمية الدراسة:

يقتضي العرض الحياتي في عقد الأيام المتتابعة في حياة الأمم والشعوب، وتعطيل الحقائق التي كفَلها الإسلام لتحقق المجتمعات بالتسامح - ضرورة الإفصاح عن وجه الإسلام في ربطه للتسامح بأمن المجتمَع.

ثانيًا: حدود الدراسة:

تدور حدود الدراسة حول أمن الفرد في مجتمعه، في ظِلّ التسامح في ضوء القرآن الكريم، وكيف رسَّخ الإسلام بقاء الأمم والأوطان بترسيخ أمن أفرادها، ومدى ضمان التسامح بكل مضامينه: من تراحم، وإيثار، وصفاء، وإخاء، ووئام، لتحقيق هذا المأرب.

ثالثًا: منهج البحث:

اتبع الباحث انطلاقًا من مبدأ التكامل المنهجي المنهج الوصفي؛ حيث يصف الباحث ملامح الأمن الاجتماعي في ضوء القرآن الكريم في ظِلّ خُلُق التسامح.

رابعًا: الدراسات السابقة:

تعرض موضوع التسامح والمجتمع لعديد من الدراسات السابقة، ومنها:

١) **التسامح وثقافة الاختلاف رؤى في بناء المجتمع وتنمية العلاقات،** للشيخ حسن الصفَّار، وقد نشرته دار المحجَّة البيضاء، بيروت لبنان، وقد عرض لأثر التسامح في معالجات الاختلاف الذي يمثِّل تحديًا للمجتمع وأمنه.

٢) **قوة الحب والتسامح،** للدكتور إبراهيم الفقي، وهو كتاب رائع يدعو إلى المودَّة والوئام عن طريق بثّ التسامح في المجتمع.

٣) **دراسة: التسامح في الإسلام،** للدكتور شوقي أبو خليل، ويتناول فيه قضايا مهمة، ونجح نجاحًا مبهرًا، وهو يناقش أعداء السلام والمتربِّصين للأُمَّة، وطرَحَ أسئلة لمفارقات عديدة، وعمِلَ على استخدام الحُجّة والبراهين الصادقة.

٤) **كتاب العدل والتسامح في القرآن،** للدكتور هارون يحيى، وفيه صِلة التسامح بالعدل في ضوء القرآن الكريم، وأثر ذلك في ترسيخ الأمن في المجتمع.

■ **وجاءت الدراسة في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة:**

* **التمهيد:** وفيه تحديد المفاهيم.
* **المبحث الأول:** أثر التسامح في التكوين الآمن لعناصر المجتمع في ضوء القرآن الكريم.
* **المبحث الثاني:** أثر التسامح الدعوي في ترسيخ الأمن الاجتماعي.

* **المبحث الثالث:** أثر التسامح مع الآخر في ترسيخ الأمن الاجتماعي في ضوء القرآن الكريم.
* **الخاتمة:** وفيها أهم النتائج والتوصيات.

❊ ❊ ❊

التمهيد

تحديد المفاهيم

من مقتضيات البحث العلمي بيان مفاهيم مصطلحات عنوانه، وذلك بمراجعة المعاجم اللغوية والمصادر المتخصصة، وهو ما سلكه الباحث في الآتي:

أولًا: مفهوم التسامح لغةً وعُرفًا:

بمطالعة المعاجم اللغوية، تبيَّن أن لفظة «تسامُح» من مادة «سَمَحَ»: والسَّماحُ والسَّماحةُ: الجُودُ، سَمُحَ سَماحَة، والمُسامَحة: المُساهَلة، وتَسامحوا: تَساهَلوا، وقولهم: الحَنِيفِيَّة السَّمْحة: ليس فيها ضِيق ولا شِدَّة، ولقد سَمُحَ (بالضم) سَماحة: جادَ بما لديه، وأَسْمَحَتِ الدابَّة بعد استصعاب: لانَت وانقادَت، وتقول العرب: عليكَ بالحقِّ فإن فيه لَمَسْمَحًا، أي مُتَّسَعًا، وعُودٌ سَمْح بَيِّنُ السَّماحةِ والسُّموحةِ لا عُقْدَة فيه، وقيل: التَّسْمِيحُ: السير السهل»[(١)].

أما التسامح عُرفًا:

قيل في التعريف بالتسامح: «بناء العلاقات الإنسانية السويَّة في غير استسلام للشرِّ، مع ضرورة دفع العداوة بالتي هي أحسن»[(٢)].

وقيل هو: «استحقاق كل فرد في الأُمّة أن يعتقد ما يراه حقًّا، وأن تكون له الحرية في تأدية شعائر دِينه كما يشاء، وأن يكون أهل الأديان المختلفة أمام قوانين الدولة سواء»[(٣)].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، (٢/ ٤٨٩)، ومختار الصحاح، الرازي، (١/ ٣٢٦)، المقري، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، (١/ ٢٨٨)، ابن الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، (٢، ٩٩٠)، المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، (١/ ١٧٤).

(٢) المسلمون في موكب الإنسانية، سالم، صـ ٦٠.

(٣) الإسلام وأهل الذمة، الخربوطلي، صـ ٩٥.

ثانيا: الأمن الاجتماعي:

مفهوم الأمن لغةً واصطلاحًا: تتقارب معاني الأمن في كل من المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، حيث تلتقي جميعها على أن الأمن هو تحقيق السَّكينة والطمأنينة والاستقرار على مستوى الفرد والجماعة.

معنى الأَمْن لُغةً:

فالأَمْن في المعنى اللغوي ضد الخوف، والأَمِنُ: المستجير ليأمن على نفسه، والأمانة: ضد الخيانة، وآمَن به: صَدَّقه، والإيمان: الثقة وقبول الشريعة، والأمين: القويّ[1].

المعنى الاصطلاحي:

هو الطمأنينة والهدوء والقدرة على مواجهة الأحداث والطوارئ دون اضطراب[2]، وتشير هذه التعريفات بنوعيها (اللغوي والاصطلاحي) إلى أن «الأمن، والسَّكينة، والاستقرار» مترادفات تُحقِّق النهضة والطمأنينة للفرد والجماعة.

ولا يزعم الباحث أنه أحاط بكل موضوع البحث، ولكنه جهد المُقلّ، فعلى أساتذتي وكل من يطَّلِع على هذا البحث أن يُقوِّمني بالتوجيه فيما عسى أن يكون قد سقط مني بغير عمد، أو سها علي بغير قصد.

أما الاجتماعي:

فهو من المُجتمَع والجَمْع «والجَمْعُ، كالمَنْع: تَأْلِيفُ المُتَفَرِّقِ، وقيل الجَمْعُ: ضَمُّ الشَّيْءِ بتَقْرِيبِ بَعْضِه مِن بَعْضٍ، وقيل: الجَمْعُ: جَماعَةُ النّاسِ، وعليه فالمُجتمَع

(١) مختار القاموس، الزاوي، ص٣.

(٢) الأمن والمخابرات، نميري، (نظرة إسلامية)، ص ٩، ١٠.

هو موضع اجتماع الناس.

■ **والأمن الاجتماعي هو:**

الطمأنينة والهدوء والقدرة على مواجهة الأحداث والطوارئ التي تؤدي إلى ذبذبة الاستقرار داخل المجتمَعات الآمنة.

❊ ❊ ❊

المبحث الأول

أثر التسامح في التكوين الآمن لعناصر المجتمع

عندما يُقلِّب القارئ في كتاب الله، يجد مُثُلًا حية لإرساء مفهوم الأمن الاجتماعي في ظِلّ خُلُق التسامح؛ مُثُلًا تؤصِّل لضرورة التسامح في حياة الأمم وبقائها، فلا أمان ولا حياة من غير تسامح.

وفيما يأتي نؤصِّل لضرورة التسامح في أمن الفرد في مجتمعه، والذي به يتحقق أمن المجتمع كله، ومن هنا تتشعب صور التسامح في نسج الأمن الاجتماعي عبر عدة منافذ، نبرزها فيما يأتي:

أولًا: تحقيق الأمن المعيشي للفرد وانعكاسه على المجتمع:

إن أمن الفرد في مجتمعه في ظل التسامح من نسيج شريعة خاصة من لدن إله واحد، يعلم ما يناسب طبيعة حياة الفرد في هذا الوجود، وقد رسَّخ الإسلام بقاء الأُمم والأوطان بترسيخ أمن أفرادها، ويبدو التسامح بكل مضامينه من تراحم وإيثار وصفاء وإخاء ووئام وسيلة كبرى في تحقيق هذا المأرب، والتسامح مع الفرد وتأمين حياته المعيشية منبثق في الأصل من قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الإنسان: ٨- ١٢].

وفي قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جارُه بوائقَه»**[1].

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه، عن أبي سعيد بن شريح، انظر: صحيح البخاري حديث رقم ٢٣٢٧، (٨/ ١٢).

والرؤية الإسلامية لمفهوم الأمن على أساس التسامح تقتضي أن يكون الأمن اجتماعيًّا، لا تقف طمأنينته عند دنيا الفرد، بل جعلَتْ جماعيَّته السبيل لتحقيقه في الإطار الفردي، وإن هذه الرؤية الإسلامية قد تجاوزت بأهمية الأمن الاجتماعي الحق الإنساني لتجعله فريضة إلهية، وواجبًا شرعيًّا، وضرورة من ضرورات استقامة العمران الإنساني، كما جعلت هذه الرؤية الإسلامية إقامة مقومات الأمن الاجتماعي الأساس لإقامة الدين، فرتَّبت على صلاح الدنيا بالأمن صلاح الدين، وليس العكس كما قد يحسب الكثيرون(١).

وقد حرص القرآن الكريم إلى كسر حواجز النفور بتشريع الزكاة وفرضها، والصدقة بكل أنواعها والترغيب فيها؛ ليجتذب القلوب نحو التسامح والحب بين عناصر المجتمع، بل جعل ذلك من صور التقوى، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [الذاريات: ١٥-١٩]، أي «وجعلوا في أموالهم جزءًا مقسومًا مُعيَّنًا للفقراء والمحتاجين على سبيل البِرّ والصِّلة، والسائل: هو الفقير الذي يبتدئ بالسؤال، والمحروم: هو الذي يتعفّف عن السؤال، فيحسبه الناس غنيًا، فلا يتصدّقون عليه»(٢)، ففي ذلك استشعار بالحنوّ والشعور الإيجابي، وهو بطبيعة الحال يمنع القلق المجتمعي المترتب على الفقر وضيق العيش.

وقد حثّ الإسلام على التسامح حتى في حركة البيع والشراء، يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبينًا ربط الاقتضاء مع التسامح بعِلّة الرحمة من الله تعالى: «**رحم**

(١) عمارة، الإسلام والأمن الاجتماعي، صـ ١٧.

(٢) الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (٢٧/ ١٧).

الله رجلًا سمحًا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى»[1]، وانطلاقًا من القرآن الكريم تكوَّنت مسارات شرعية في دعم الفرد، منها:

۞ ثانياً: التسامح وتحقيق الأمن المالي للفرد:

يُعدّ الأمن المالي للفرد نواة لمعالجة ارتباك المجتمع، فهو يُحِدّ من وقوع الجريمة والسلب والنهب والفساد، ويمكن تفعيل ذلك بالتسامح في معاملة الغير، وإخراجه من دائرة الفقر إلى الأمن المعيشي والاستقرار النفسي، وذلك من خلال تفعيل سبل المعالجة الإسلامية لحالات الفقر؛ ومنها:

■ **١) التسامح مع المدين العاجز عن السداد بإنظاره:**

حثَّ القرآن على التسامح مع المعسر؛ قال تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

أي: تسامحوا مع المدين و«إنظاره إلى أن يُيسِّر الله عليه فيعطيكم رأس مالكم الذي أخذه منكم»[2].

حيث يعجز الفرد عن سداد القرض نظرًا لشدة حاجته، والأفضل في هذه الحالة إسقاط الخزانة أو الصندوق لهذا القرض عن المُقترِض، وقد بثَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُوح الإحسان في مثل هذه الأحوال فقال: «**مَن أنظرَ معسرًا أو وضَعَ عنه، وقاه الله من فَيْح**[3] **جهنم**»[4].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه، عن أبي سعيد بن شريح، انظر: صحيح البخاري حديث رقم ٢٣٢٧، (٨/ ١٢).

(٢) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، الجزائري، (١/ ٢٧٠).

(٣) فيح: الحر، أو سطوع الحر وفورانه، يقال: فاحت القدر تفيح وتفوح إذا غلت، ابن منظور، لسان العرب المحيط، (٤/ ١١٥٢).

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده، برقم ٨٦٩٦ نقلًا عن الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد، للشيخ=

■ ٢) التسامح بالبذل والإيثار:

إن التسامح هو الذي يقود عملية العصف الشعوري الوجداني الرحيم، ويدفعه نحو الإيثار والبذل والشعور الواحد على حدّ فعل الأنصار مع إخوانهم المهاجرين، والذي وردَ في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٩]، وقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادِّهم وتعاطفهم، كمثل الجسد الواحد؛ إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحُمَّى**»(١).

ذلك المعنى الإيماني الذي يجري في عروق وأوردة المؤمنين، يكمن في صِلَتِهم بالله تعالى استشعارًا بملكيته الحقيقية للكون والسماوات والأرض ومن فيهن «وهي صِلة لا يوجد لها نظير ولا أساس للقياس من بين الصِّلات، في الأصالة والعمق، والسعة والاحتواء، والشمول والإحاطة، وأقلّ ما يقال فيها أنها صِلة الخالق والمخلوق، والربّ والمربوب، والرازق والمرزوق، والمالك والمملوك، والحاكم والمحكوم، أنها صِلة هذا الرب الكريم الكمالية، وأفعاله البديعة، وربوبيته الحكيمة الرحيمة، ورعايته اللطيفة الدقيقة، وأن يُخلَص له الحُبّ ويهيم به القلب، وتُبذَل في سبيله المُهَج والأرواح، فضلًا عن الأموال

= أحمد عبد الرحمن البنا، كتاب: القرض والدَّين، باب: فضل من أنظر معسرًا أو وضع له، (١٥/ ٩٦)، وسند الحديث جيد على حدّ قول الشيخ أحمد البنا. راجع له كتابه: بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، (ط. دار الأنوار بمصر، طبعة أولى، بدون تاريخ) (١٥/ ٩٧)، وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد، الحديث رواه الإمام أحمد، وفيه عبد الله بن جعوبة السلمي، ولم أجد من ترجمه، وبقية رجاله رجال الصحيح، (٤/ ١٣٣، ١٣٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم ٢٣٢٣ فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، كتاب: الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم، من حديث النعمان بن بشير، (ـ١٠/ ٥٤٠).

والأملاك)[1]، ذلك المعنى هو الأداة الفعّالة القوية التي تُحرِّك الهِمم نحو عملية الإنفاق.

ثالثًا: التسامح الأُسريّ وأثره في تحقيق الأمن الاجتماعي:

إن الشعور بالاستقرار الذي يجده كل واحد من الزوجين في الآخر نتيجة إحسانهما والألفة القائمة بينهما، يُعدّ حقلًا خصبًا لتربية العلاقات الإنسانية، وبيئة مهيأة لتغذية الصلات الاجتماعية، وهو ما يصوِّره قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم: ٢١]، «فجعَل بين الزوجين مودّة ورحمة، فهما يتوادّان ويتراحمان، وما شيء أحبَّ إلى أحدهما من الآخر من غير رَحِمٍ بينهما»[2].

«وإذا كانت الأسرة تُعَدُّ الوسط الاجتماعي الأوَّل الذي يُؤمِّن وسائل المعيشة لأفراده، ويمرِّنهم على الحياة، ويُشكِّلهم ليكونوا أعضاء عاملين في المجتمع، صار من الثابت أن المجتمع -الذي من أشكاله الأسرة- لا يضمّ أفرادًا فحسب، ولكنه يضم أفرادًا وما يتولَّد عن وجودهم الاجتماعي من صِلات وعلاقات»[3].

ومما لا شك فيه أن استقرار الزوجين وتوافر جوّ التسامح بينهما؛ ينعكس عنه تلقائيًّا أولاد مستقِرِّين نفسيًّا ومعنويًّا وعلميًّا، وإذا تحقّق ذلك تحقّق الأمن الاجتماعي؛ لأن إفراز جيل مُضطرِب يُعدّ سببًا في اضطراب المجتمع كله وعدم استقراره، ومن أهم النتائج المترتبة على استقرار الزوجين وتوافر جوّ التسامح بينهما، ما يأتي:

---

(١) الأركان الأربعة، الندوي، صـ ٨٩.

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي، البغوي، (٣/ ٥٧٥).

(٣) المجتمع الإنساني في القرآن الكريم، التومي، صـ ٢٦٨.

■ **١) التكوين الآمن للأولاد نفسيًّا وفكريًّا:**

ويُقصد به الأسس التكوينية لبناء الذات والشخصية السويّة، التي تعاني من تحديات فكرية وثقافية تؤثر في النمو الأخلاقي بعوامل من التعرية الهدامة، وعلى رأس هذه العوامل الإرهاب الفكري؛ إذ يترتب على غياب التسامح من الأسرة مجموعة من الارتباطات السلوكية والثقافية والنفسية: كاللامبالاة، والتعقيد النفسي، وإسقاط الهدف تربويًّا وبيئيًّا، وانهيار الأخلاق والقِيَم، وغياب الوعي الثقافي السليم، وتدنِّي المستوى الفكري وتكدُّر الوعي، ويتوارى الإرهاب خلف ستارها حتى ينمو ويكبر، وينظر من طرف خفي، ولا يحسر بصره من رؤية ما يروم من تخريب، إذ تفتقد الأسرة في ظِلّ هذه المُكدِّرات أهم الجوانب الإدراكية والأخلاقية والمعرفية المنعكسة بطبيعة الحال على سلوك الأبناء، «ويُعدّ التفكُّك الأُسريّ من أقوى المشكلات الاجتماعية التي قد تدفع الأفراد لارتكاب أعمال إرهابية، والتفكُّك الأُسريّ يعني انهيار الأدوار الأساسية للأسرة، مثل: التنشئة الاجتماعية، والعلاقات الأُسريَّة والزوجية، والطلاق، ويؤدي التفكُّك الأُسريّ إلى حدوث انحراف أفراد الأسرة، وقد يُستَغلّ هذا الانحراف من قِبَل الجماعات الإرهابية»[(١)].

وهذا الجوّ المُلبَّد بمثل هذه الثقافات، مدعاة لصياغة دوافع وقدرات وإمكانات التكوين المتطرف نفسيًّا واجتماعيًّا وتربويًّا ومهنيًّا، ورعاية مظاهر الشخصية الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية.

■ **٢) ضبط التهيئة الوقائية لأفراد الأسرة من الاستقطاب للانحراف:**

تتطلب المجتمعات الحديثة من الأسرة الاهتمام بالرفق، والتسامح في كافَّة

(١) مستقبل الإرهاب في هذا القرن، العموش، (٨٢، ٨٣).

مراحل النمو؛ لتهيئة الأولاد وتحصينهم من براثن الانحراف الناتج عن الضغط العصبيّ، والكَبْت، والحَجْر الفِكريّ، وعدم منحهم مساحة واسعة للتعبير عن آرائهم.

والأسرة مسئولة عن تحقيق ذلك الغرض عن طريق تنظيم المواقف المختلفة التي تحصِّن الدافع النفسي ضد المشكلات والاضطرابات والأمراض، وهي الطريقة التي يسلكها الشخص كي يتجنب الوقوع في مشكلة ما.

والتوعية السلوكية والقِيَمِيّة تنعكس تلقائيًّا على الحِسّ الأمني في نفسية الأولاد «فهي تهدف إلى إكساب الأطفال أساليب سلوكية معيَّنة، ودوافع وقِيَم واتجاهات يرضى عنها المجتمع الذي يعيش فيه الفرد، بحيث تُشكِّل طُرقَ تفكيره، وأنماطَ سلوكه، وحُكمَه على المعاني والأشياء»[1].

وقد عني القرآن برعاية الأسرة، وصاغ أمثلة قرآنية لكل أسرة؛ لتقتفي على آثارها أمثلة للتوجيه المتسامح نحو مكارم الأخلاق وأداء العبادات، والذي يترتب عليه تنمية نوازع الأمن بكل توجهاته المجتمعيّة، والتي تُعدّ ثمارًا للتربية النافعة، والتوجيه السديد، فلا يكفي أن نُظهِر لأولادنا عاطفة متسامحة حانية، ورحمة متدفقة، وبِرًّا مسكوبًا، بل لا بد أن يكون ذلك مشفوعًا بالكلمة المُوجِّهة، والإشارة المُؤدِّبة برِفق ولِين وتسامُح، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: آية ١٣٢]، وتلك طبيعة في الأسرة النبويَّة، فتدبَّر دعوةَ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾ [إبراهيم: ٤٠].

(١) الأبعاد السياسية مفهوم الأمن في الإسلام، منجود، ص ٤٤-٤٥.

يقول ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمَن أهملَ تعليمَ ولدِهِ ما ينفعه، وَتَرَكَهَ سُدى؛ فقد أَساءَ إليه غايةَ الإساءة، وأكثرُ الأولادِ إنما جاء فسادُهُم من قِبَلِ الآباءِ وإهمالِهِم لهم، وتركِ تعليمِهِم فرائضَ الدِّينِ وَسُنَنَه، فأضاعوها صغارًا، فلم ينتفعوا بأنفسِهِم ولم ينفعوا آباءَهُم كِبَارًا»[1].

فهذه السمات تجعل من أولادنا أكثر عُرضَة للتأثر بالأفكار والتوجُّهات وأكثر عُرضَة للخروج عن الضوابط والأنظمة، ويترتب عليه التوجُّه نحو الانحراف والجريمة، وبالتالي فإنَّ الأسرة لها دور مُهِمّ في تكوين شخصية مثالية.

۞ رابعًا: أثر التسامح في ترسيخ الأمن في المجتمع كله:

إن القرآن الكريم بدعوته إلى التسامح في كل مجالات الحياة والعلاقات الاجتماعية؛ حوَّل المجتمع كله إلى كتلة متضامنة ذات كيان آمن حصين، لا أفراد متناثرة بغير نظام، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨﴾ [البقرة: ٢٠٨]، فالله تعالى يأمر عباده المؤمنين به المُصدِّقين برسوله أن يأخذوا بجميع عُرى الإسلام وشرائعه، والأخذ بالسِّلْم والتسامح تحقيقًا للأمن الاجتماعي، فـ«السِّلْم» هو الصُّلْح، وترك الحرب راجع إلى هذا المعنى.

فدعوة الحقِّ - تعالى - الناسَ جميعًا للدخول في السلام والأمن، ورفع الإيمان عن المسلم الذي لا يأمن جاره أذاه وسوءاته؛ لأن التسامح والإخاء والأمن كلها تنطلق من تحت سماء التوحيد.

(١) الأمن القومي والأمن الجماعي الدولي، شوقي، صـ٢٨.

يقول الإمام ابن القَيِّم(١): «تجرَّد منها - أي القلوب والأنفُس - التوحيد بانقطاع أسباب الشرك وتحقُّق بُطلانه؛ فزالت منها تلك المنازعات التي كانت مشغولة بها، واجتمع همُّها على من أيقنَتْ بالقُدوم عليه، فوجَّه العبدُ وجهَه بكُلِّيته إليه، وأقبلَ بقلبه ورُوحه وهمِّه عليه، فاستسلم لله وحده ظاهرًا وباطنًا، واستوى سرُّه وعلانيتُه فقال: (لا إله إلا الله) مخلِصًا من قلبه، وقد تخلَّص قلبُه من التعلُّق بغيره، والالتفات إلى ما سواه»(٢).

وقد بيَّن لنا القرآن الكريم أن الناس مهْمَا تعدَّدت أجناسهم وألوانهم، فإن أباهم جميعًا هو آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [النساء: ١].

فالقرآن يُؤكِّد وحدة أصل الناس وصِلة القُربى بينهم، باعتبارهم إخوة ينحدرون من أصل واحد، وإنّ هذا التوحُّد في الأصل والمنشأ، حريٌّ به أن يقود الناس إلى الإحسان والتعاون والتفاهم والالتقاء على الخير والمَحبَّة.

والناظر في صيغ الخطاب القرآني، يجد أنها تؤكد وحدة الأصل الإنساني، فكثيرًا ما تتكرر في القرآن صِيغ النداء بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، و﴿يَٰبَنِيٓ

(١) ابن القيِّم هو: هو محمد بن أبي بكر بن سعد الزرعي، نسبة إلى بلدة أزرع، ثم الدمشقي، أبو عبد الله شمس الدين، من أجلة العلماء، وكذلك كان أبوه، فقد كان قيِّمًا على الجوزيّة، وهي مدرسة في دمشق، ولذلك عرف بابن الجوزيَّة، وُلد في السابع من صفر سنة ٦٩١هـ، أحد تلاميذ الإمام ابن تيمية، وتسبب في نشر علمه، قال عنه الإمام الشوكاني: كان طويل النفس في مؤلفاته، له ملكة قوية، توفي وقت العشاء الآخرة، ليلة الخميس، الثالث عشر من شهر رجب سنة ٧٥١هـ. انظر كتاب: الروح، ابن قيم، (٤/ ٧٤).

(٢) الفوائد، ابن قيم، ص ٥٦.

ءَادَمَ﴾ [الأعراف: ٣٥]، مما يشير إلى أن الله سبحانه كرّم هذا الإنسان وفضّله على كثيرٍ من خلقه، مُعلنًا بذلك مبدأ المساواة بين البشر، فلا فضل لجنس على آخر باعتبار اللون والعنصر والنشأة. ويرتقي بهذا الإنسان حين يعلن أنّ أساس الثواب والعقاب يرتكز على النوايا والأعمال لا على الظواهر والأشكال. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

ولكن البشريّة حين تُغيِّبُ عقولها، وتطمس ضمائرها، تتناسى هذا المبدأ، وتضرب بكل هذه القيم عُرض الحائط، فتنتشر العنصرية البغيضة، وهنا يتجلّى دور التسامح في ضبط سلوكيات الأفراد نحو تعامل مثالي يعلوه الإخاء وتكسوه الرحمة.

وبعد أن بيَّن لنا القرآن وحدة الأصل الإنساني، بيَّن لنا في سياقٍ آخر أنَّ هذا الأصل تفرَّعت عنه الشعوب والقبائل والأمم، وأنَّ الهدف من هذا التنوع بين الناس هو الإحسان والوصال والتفاهم والتعارف فيما بينهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣].

وإذا كان القرآن الكريم قد اهتم ببناء المعاملات الإنسانية على المستوى الإنساني العام، فهو في الوقت نفسه لم يَغفل عن أهمية بناء هذه العلاقات في مستوياتها الخاصة، بدءًا بالعلاقة القائمة بين الزوجين، ومرورًا بالأسرة والأقارب والجيران حتى المجتمع المسلم.

والتسامح في المجتمع المسلم ضرورة لتحقيق الأمن فيه، لذلك حفَّز الإسلام على العفو، قال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الشورى: ٤٠]، «والعفو في أعلى مراتب التسامح والفضيلة إذا

كان مع القدرة على ردّ السيئة بمثلها، ويزداد رفعة إذا قُصِد به وجْه الله تعالى، ولم يُقصد به مجرد حسم النزاع، أو الاستجابة إلى شفاعة أحدٍ من الناس، أو غير ذلك من الأغراض التي لم يدخل فيها جانب الله، وإنما يحسن العفو إذا كان يؤدي إلى أثرٍ جميل، من حلول السلام محل الوئام، وارتداع المسيء عن إساءَته»[1].

«ولقد أسهمَ في تحقيق هذه الغاية العظمى (غاية الأمن الاجتماعي على أساس التسامح) أن الله تعالى أودعَ في الإنسان نزعتين إنسانيتين متباينتين في الظاهر، لكنهما متكاملتان، وهما:

- **النزعة الفردية:**

وهي التي تجعله يحب الخير لنفسه، ويدفع الشر عنها، ويحرص على تحقيق ذاته.

- **والنزعة الاجتماعية:**

وهي التي تدفعه إلى صف الجماعة وحضن المجتمع»[2].

«لأن الله تعالى جعَل بحِكْمته حاجة الفرد إلى الفرد كحاجة العضو إلى العضو في الجسد الواحد، ويُفهَم هذا إذا عُلِم أن سلوك الفرد ورغباته كالحبّ والوفاء والتميّز والفخر، لا بد لها من محيط اجتماعي تُمارَس فيه»[3].

وقد تأسس المجتمع الإسلامي الأول بكل ألوانه القبَلِيّة والدينية في المدينة المنورة على أساس التسامح بكل صوره ومضامينه، فالأوائل بنوا كيان الوطن الإسلامي، وأسَّسوا لأصوله وقواعده وفق هذه الإنسانية المنبثقة من التسامح

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، (٢/ ٩٥٣).

(٢) علم الاجتماع والمجتمع المسلم، شاهين، صـ ٨٥.

(٣) المرجع السابق صـ ١١

والتراحم والتوادّ، فحياة المهاجرين إلى طَيْبة مع إخوانهم الأنصار مليئة بالتسامح، أدّى إلى حدوث اندماج وتعايش ووئام وتآخٍ يُعلِّم البشرية معنى المُواطَنة في ظِلّ خُلُق التسامح والوئام، وقد حكى القرآن هذا الاندماج المبني على المحبة والتسامح والإيثار فقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٨، ٩].

فقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ يعني: حاجة، أي: يُقدِّمون المحاويج على حاجة أنفسهم، ويبدءون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك(١).

«وفي شعر للنعمان بن عجلان الأنصاري، إشادة بعمل قومه الأنصار، إذ قَسَّموا أموالهم وديارهم بينهم وبين المهاجرين، قال:

وقُلْنا لقوم هاجروا مرحبًا لكم ... وأهلًا وسهلًا قد أَمِنْتم من الفقرِ
نُقاسمكم أموالنا وديارنا كقِسْمة ... أيسار الجَزُور على الشَّطْرِ

وفي كلماته يبدو بريق المؤاخاة ووحدة النسيج بين المهاجرين والأنصار بعد مَقْدمهم بخمسة أشهر، وقيل: ثمانية أشهر»(٢)، «فعن عروة قال: قدم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة، فكان أول راية عقدها راية عبيدة بن الحارث: وفيها: آخي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين المهاجرين والأنصار، على المُوَاساة والحقّ، وقد

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٨/ ٧٠).
(٢) نفس المرجع (٧/ ٣٩٧).

روي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: آخَى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين المهاجرين والأنصار، وورَّث بعضَهم من بعض، حتى نزلت: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ۗ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ۝٦﴾ [الأحزاب: ٦][1].

على هذا المفهوم من الانسجام والتسامح ذابت الكيانات في مجتمع واحد، يجمع عناصره الإلف والإخاء، وتمثَّلت قُوَّة المجتمع وقام أمانه، فمصالح المجتمعات تتحقق بتكاتف أفراد المجتمع وانسجامهم على المحبة والتسامح، وجسد الأمة عندما يتمزق يكون جسدًا ضعيفًا، حتى لو توهَّم من يملك اليد أن عنده عضلات يمكنه أن يبطش بها، أو من يملك الرأس أن عنده عقل يفكر ويبدع به، فقُوَّة اليد الحقيقية هي عندما تكون جزءًا من جسد متماسك.

❊ ❊ ❊

(١) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، (٢/ ٣٢).

المبحث الثاني

أثر التسامح الدعوي في ترسيخ الأمن الاجتماعي

قبل عرض أهم الصفات التي يتحلَّى بها الدعاة إلى الله تعالى، لا بد من التجذير لها من حيث مصدريتها واكتسابها، وذلك فيما يلي:

أولًا: التسامح وسيلة الأنبياء في تأمين مجتمع الدعوة إلى الله:

ارتبط التسامح بمنهج الدعوة عند الأنبياء ارتباطًا وثيقًا، لضرورة ذلك في تهيئة المجتمع وترويضه ترويضًا آمنا يُبعِده عن الجاهلية والانفلات الأمني، لذلك تقع على كاهل الدعاة إلى الله تعالى نفس المسئولية، وهي تحتاج إلى تعبئة الداعية بالإيمان برسالته، فلا تنتصر دعوة إلا بالداعية الذي يؤمن بها، ويُحسِن عرضَها، ويكون نموذجًا حيًّا لتعاليمها[1]، ويرجع تجذير صفات الدعاة إلى الله تعالى إلى منهج الأنبياء والمرسلين الذي حكاه القرآن الكريم، كما يرجع إلى تربية النبي وتوجيهه للدعاة ليسيروا على أرقى منهج تسامُحيّ حكيم يضمن أمن المجتمع الإنساني.

إن تسامح الدعاة في الدعوة إلى الله أداة لضبط المجتمعات، وضمان لترسيخ مفهوم الأمن، بدلا من القلاقل وسفك الدماء؛ ولا شك أن ذلك قبس من أخلاق الأنبياء والمرسلين التي جمعت إرادة اللين، والرحمة، والحكمة، والصبر، والحِلم، والرضا، والتحمُّل، والعزم عند العفو، والتسامح مهما كان ردّ فِعل المدعو.

ومن خلال القرآن نقف على بعض النماذج الدعوية في حكايته عن تسامح

(١) دعاة لا بغاة، جريشة، صـ ١٧٥ – ١٧٧.

الأنبياء في أممهم، وتحمُّلهم وصبرهم على نتائج النصيحة مع شِدّة معاناتهم وعزمهم في آن واحد، في سبيل تأمين المجتمعات وتهيئتها للسماع:

«وقد حكى القرآن الكريم موقف قوم نوح منه حين نصحهم بنزع الشرك، وكيف اتهموه بالضلال، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾﴾ [الأعراف: ٥٩، ٦٠]، فقد دعا نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قومه ودعاهم للخير حين خاطبهم، وعبَّر في ندائهم بوصف القوم لتذكيرهم بآصرة القرابة؛ ليتحققوا أنه ناصح متسامح، ومُريد خيرهم، ومُشفِق عليهم، وأضاف ﴿يَٰقَوْمِ﴾ إلى ضميره؛ للتحبيب والترقيق لاستجلاب اهتدائهم، وقوله لهم: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ إبطال للحالة التي كانوا عليها، حيث كانوا مشركين، بمدلول قوله: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ أي: أفرِدُوه بالعبادة ولا تُشركوا معه الأصنام، والمعنى: اتركوا عبادة غير الله خوفًا من عذاب يوم عظيم، وبنى نَظْم الكلام على خوفه عليهم دلالة على إمحاض النصح لهم، وحرصه على سلامتهم، حتى جعل ما يضرُّ بهم كأنه يضرُّ به[1].

«ثم نفى عنه التباس ضلالة ما به، دلَّ على أنه على الصراط المستقيم»[2]، وذلك في قوله ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ﴾، وهو ردٌّ لقول الملأ: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾، والملأ من قومه هم الرؤساء والأجلّة والأشراف، وسُمُّوا بذلك لأنهم ملئوا بما يحتاج إليه منهم، ويقال: لأنهم ملئوا الناظر هَيْبة إذا اجتمعوا في موضع، وفي رده عليهم بيان لأدب الخُلق في حسن الجواب والمخاطبة، لأنه

(١) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، ابن عاشور، (١/ ١٥٦٢).
(٢) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، (٤/ ٣٢٤).

ردّ جهلهم بأحسن الجواب»[1]، «فإنهم جعلوا الضلال متمكنًا منه، فنفى هو أن يكون للضلال متلبس به، وجملة ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى﴾ صفة لرسول أو مستأنفة، والمقصود منها إفادة التجدد، وأنه غير تارك التبليغ من أجل تكذيبهم تأسيًّا لهم من متابعته إياهم، وأنه لهم ناصح، ونصيحته وقعت خالصة للمنصوح مقصودًا بها جانبه»[2]، وهو مراده من قوله ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ أي «أمنعكم من الفساد، وأدعوكم إلى التوحيد، وأُحذِّركم من العذاب. وقال أهل اللغة: أنصح لكم وأنصحكم لغتان بمعنى واحد، كما يقال: شكرْتُ لكَ، وشكرْتُكَ»[3]، وذلك في مجموعه يُحقِّق الأمن في مجتمعهم.

وجاءت الدعوة الحانية المتسامحة في نصيحة سيدنا هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعبادة الله وتوحيده، وكيف نازعه قومه وصبرَ على تسامحه في نصيحته وتحمَّلَ أذى ألسنتهم، قال تعالى: ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأعراف ٦٥-٦٧]، إنه نصحهم في تسامح بنبذ الشرك وهجرانه، فاتهموه بالسفاهة، وهي «الحُمْق والطيش وعدم البصيرة بالحياة حين خرج عن إجماع قومه، وواجههم بعيب آلهتهم وتسفيه أحلامهم، واتهموه بالكذب حين قالوا: ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾، فيما جئت به من الرسالة، ودعوت إليه من التوحيد ونبذ الآلهة غير الله تعالى، فأجاب هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ رادًّا لشبهتهم فقال: ﴿يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فلست كما تزعمون أن بي سفاهة،

(١) بحر العلوم، السمرقندي، بتحقيق: د.محمود مطرجي، (١/ ٥٤٠).
(٢) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، ابن عاشور، (١/ ١٥٦٣).
(٣) السمرقندي، بحر العلوم، (١/ ٥٤٠).

ولكني أحمل رسالة أبلغكموها، وأنا في ذلك ناصح لكم، مُريد لكم الخير، أمين على وحيّ الله تعالى إليّ، أمين لا أغشكم ولا أخونكم فما أريد لكم إلا الخير»[1].

ونبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نصح قومه بترك الشرك والظلم، وبشَّرهم بأن الله سيُمكِّنُهم في الأرض، وسيُدخِلهم جنات تجري فيها الأنهار خالدين فيها أبدًا في الآخرة إن استجابوا لنصيحته، وكل الأنبياء والمرسلين -عليهم الصلاة والسلام- نصحوا أقوامهم. والأصل في ذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ مخاطبًا النبي الأمين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكُلَّ من يملك مؤهلات الدعوة إلى يوم القيامة: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]، فبالحكمة والمجادلة تخاطب طاقة الفكر وبالموعظة الحسنة تخاطب عاطفة القلب، ومن خلال مخاطبة الفكر والقلب يرسخ الوازع الديني في النفوس.

وقد حفَّز النبي طُلَّابه من الدعاة إلى يوم القيامة بمكافأة الله تعالى لمن نصح بالهدى، وحذَّر من خالف بالنكال، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلاَلَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»[2]، وهذا يُبيِّن حكمة رسول الله في نصيحته للدعاة أيضًا، ببيان مكافأة الله لمن دعا إلى الهدى وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر.

ثانيا: من صور التسامح وأثره في أمن المجتمع:

١) الحكمة والتلطُّف والحسن وتحقيق الأمن في العلاقات الاجتماعية:

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، الجزائري، ١٨٩.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم ٢٦٧٤، كتاب العلم، باب مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً أَوْ سَيِّئَةً وَمَنْ دَعَا إِلَى هُدًى أَوْ ضَلاَلَةٍ، (٨/ ٦٢).

إن الداعية يرُدّ الناس إلى الحق، ويذُبّ عن الفهم مجاهيل الفكر؛ لذا حثّ الله الدعاة على الحكمة والتلطُّف عند الدعوة فقال: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ [النحل: ١٢٥].

ودعوته إِلى سَبِيلِ ربه، «أي إلى الإسلام ﴿بِٱلۡحِكۡمَةِ﴾ بالمقالة المُحكمة الصحيحة، وهي الدليل الموضِّح للحق المُزيل للشُّبهة ﴿وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ وهي التي لا يخفى عليهم أنك تُناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها. ويجوز أن يريد القرآن، أي: ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ بالطريقة التي هي أحسن طُرق المُجادَلة من الرفق واللين، من غير فظاظة ولا تعنيف»[(١)]، وذلك أمر من الله تعالى لرسوله «بأن يدعو إلى دِين الله وشرعه بتلطُّف، وهو أن يسمع المدعو حكمة، وهو الكلام الصواب القريب الواقع من النفس أجمل موقع»[(٢)]، وعليه فهو أمر لمن حمل على عاتقه مسئولية الدعوة إلى الله تعالى.

وقد «أمر الله جَلَّوَعَلَا نبيه موسى وهارون -عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام-: أن يقولا لفرعون في حال تبليغ رسالة الله إليه فقال: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤﴾ [طه: ٤٤]، أي: كلامًا لطيفًا سهلًا رقيقًا، ليس فيه ما يُغضِب ويُنفِّر، والقول اللين في هذه الآية بقوله: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ١٧ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ١٩﴾[النازعات: ١٧-١٩]، وهذا والله غاية لين الكلام ولطافته.

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري (٢/ ٦٠).
(٢) أبو حيان، تفسير البحر المحيط، (٥/ ٥٣٠).

■ ٢) الصبر والتصبر والاصطبار والعزم على المصابرة أداة للقضاء على الصِّدام الفكري:

إن الصبر والتصبُّر والاصطبار والمصابرة، صفات يضطلع بمعانيها الدعاة إلى الله تعالى عند الدعوة، وآليّة لتحقيق عدم الصدام الفكري، وأداة لامتصاص غضب المدعوين، وذلك «بحسب حال العبد في نفسه وحاله مع غيره: فإن حبس نفسه ومنعها عن إجابة داعي ما لا يحسُن إنْ كان خُلُقًا له ومَلَكه سُمِّي صبرًا، وإن كان بتكَلُّف وتمرُّن وتجرُّع لمرارته سُمِّي تصبُّرًا، كما يدل عليه هذا البناء لغة، فإنه موضوع للتكلُّف، كالتحلُّم والتشجُّع والتكرُّم والتحمُّل ونحوها، وإذا تكلَّفَه العبدُ واستدعاه صار سجيَّة له، وكذلك العبد يتكلَّف التعفُّف حتى يصير التعفُّف له سجيَّة، كذلك سائر الأخلاق»[(١)].

وأما الاصطبار فهو أبلغ من التصبُّر، فإنه افتعال للصبر بمنزلة الاكتساب، فالتصبُّر مبدأ الاصطبار، كما أن التكسُّب مقدمة الاكتساب، فلا يزال التصبُّر يتكرر حتى يصير اصطبارا، وأما المصابرة فهي مقاومة الخصم في ميدان الصبر، فإنها مفاعلة تستدعي وقوعها بين اثنين: كالمشاتَمة، والمضارَبة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]»[(٢)]، والداعية يتقلَّب بين وجوه هذه الصفات المؤلمة عند دعوته، وهي متفاوتة في قوتها حسب طبيعة المنصوح: فمنهم من يحتاج إلى الصبر، ومنهم من يحتاج إلى تصبُّر، أو مصابرة، أو اصطبار، وهو يلاقي الكثير من الآلام من هذه الأشواك البشرية ما دام في طريق الدعوة؛ لأنهم يعتبرون نصحه لهم وأمره ونهيه فضولًا فيما لا يعنيه، وتدخُّلًا شخصيًّا لا يهُمُّه.

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن قيم صـ ١٢.

(٢) عدة الصابرين، ابن قيم الجوزية، صـ ١٣.

ومعنى ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾ «اصبِرُوا على دينكم، وصابِرُوا الوعد الذي وعدكم الله»[1] إذن فالمصابرة نتيجة الصبر، فلا يزال الداعية يصبر على خصوم دعوته حتى يصل إليها.

ومن هنا وجَّه الله تعالى نبيه إلى الصبر على خصومه، فتلك سُنَّة يلاقيها الدعاة عند البلاغ، قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وذلك لِمَا لاقاه النبي من «تكذيب المشركين لرسالته، بجعلهم القرآن مُفترًى، واستهزائهم به، فأمر الرسول ﷺ بالصبر على ما لقيه منهم من أذى، وضربَ له المَثَل بالرسل أولي العزم، وأولو العزم: أصحاب العزم، أي المُتَّصِفون به. والعزم: نية محققَّة على عمل أو قول دون تردد»[2].

■ ٣) الحِلم والعفو والصفح عن المخالفين أدواتٌ لترويض نفسيَّة المخالفين:

من صفات الداعية أن يكون حليمًا متسامحًا في دعوته، وإن الناظر في سيرة أُسوة الدعاة عليه الصلاة والسلام، ليجد نموذجًا حيًّا في العفو، ليس مع المؤمنين فحسب، بل مع أعدائه أعداء الدين أيضًا، الذين أمر الله تعالى بمجالدتهم بالسيوف، غير أن تلك الصور من العفو كان لها أثرها في أنفس أولئك، وأدَّت ببعضهم إلى الإيمان بالله عز وجل، ليكون للدعاة أسوة به ﷺ. فلم يلجأ إلى العنف، مع من اعتدى عليه أو رماه بمنقصة، بل أحسن إليهم، فأثَّر هذا الإحسان على كثير منهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ إِنَّ

(١) النكت والعيون، الماوردي، (١/ ٤٤٤).

(٢) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، ابن عاشور، (٢٦/ ٥٦).

﴿ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣]، و«ظاهره الأمر بالمعروف والصفح عنهم جميعهم، وذلك بعث على حُسن التخلُّق معهم ومكارم الأخلاق»(١).

والدعاة المُخلِصون يَتَّصِفون بهذه الصفة الحميدة، التي تكون عاقبتُها توثُّقَ العلاقات، وزيادةَ المحبَّة، والْتِئامَ الصفوف، وقوَّةَ المسلمين، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥]، والمراد منه أمر الرسول ﷺ بالمصابرة على الابتلاء في النفسِ والمالِ، وتحمُّلِ الأذَى، وتَرْك المُعارَضة والمُقابَلة، وذلك لأنه أقرب إلى دخول المُخالِف في الدين(٢).

❊ ❊ ❊

(١) تفسير البحر المحيط، أبي حيان (٣/ ٤٦٢).

(٢) الحنبلي، أبو حفص، اللباب في علوم الكتاب، (٦/ ١٠١).

المبحث الثالث

أثر التسامح مع الآخر في ترسيخ الأمن الاجتماعي

إن التسامح يحمل القلوب إلى الاستكانة للمجتمع حُبًّا وانتماءً ودفاعًا؛ لأن الاستكانة للوطن تنبعث من التوجيه الإسلامي، وعلى أساسه يتكون التعامل مع الآخرين بمفهوم يتسع اتساع العلاقات الإنسانية بين بني البشر، وللتسامح حاكمية مُطلقَة على الروابط التي تكون لنسيج الوطن والمجتمع، وفيما يأتي نلقي الضوء على بعض آثار التسامح مع الآخر في تكوين الأمن الاجتماعي:

أولًا: تحقيق الأمن الاجتماعي في ظل المودة والرحمة بين المسلمين وغيرهم:

يقول تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الممتحنة: ٨، ٩].

لعل هذه الآية من أوضح الآيات التي تميِّز بين الولاء وبين التسامح والبِّر وحُسن التعامل، فالآية تُرسِّخ مفهوم الأمن الاجتماعي لغير المسلمين في ديار الإسلام، والتسامح معهم في المعاملة، وعلى بِرِّهم والإحسان إليهم، طالما أنهم مسالمين ولهم ولاء وانتماء لوطنهم، «والروابط التي تجمع بين الناس كثيرة: فمن رابطة الدم، إلى رابطة الفكرة والمبدأ، ورابطة العمل والوظيفة، ورابطة الصداقة والصحبة، ورابطة الجنس والعرق، والرابطة التجارية والاقتصادية، ورابطة العقيدة التي تُعدّ من أقوى الروابط وأمتنها. وقوّة رابطة العقيدة لا تعني أنَّ أدب التعامل مع الآخرين لا يدور إلا في نطاقها، ولا يشمل التعامل مع أصحاب

العقائد الأخرى من غير المسلمين، بل إنَّ أدب التعامل يتسع ليشمل الإنسانية كلَّها، ولا بدّ لنا في هذا السياق من التفريق بين التسامح في التعامل مع الآخرين والولاء لهم، فإن الولاء هو المحبة والنصرة»[1]، والتسامح يعني مودتهم وبرَّهم.

ثانيا: تحقيق الانسجام والتعايش السلمي:

قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾﴾ [المائدة: ٥]، والآية أحلَّت طعام أهل الكتاب ونساءهم، وهما أمران يستلزمان التعايش والتساكن والانسجام. وأكدت النصوص النبوية ما وردَ في الآيات القرآنية من انسيابية التسامح عند ممارسة مفهوم التعايش مع غير المسلمين المُسالِمين في واقع المجتمع الأول، وبإشراف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتي جاءت مضامينها في السنة النبوية، ومن أبرزها ما يأتي:

■ **١) عيادة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمرضاهم:**

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «**كان غلام يهودي يخدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمرض، فأتاه النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعودُه، فقعد عند رأسه فقال له: أَسْلِمْ، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أَطِعْ أبا القاسم. فأَسْلَم، فخرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار**»[2].

---

(١) شرح كتاب التوحيد، ابن عبد الوهاب، صـ٣٤٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم ١٣٥٦، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام، (١/ ٤٥٥).

«ومن العلماء من قيَّد عيادة المريض برجاء دخوله في الإسلام، ومنهم من أجاز بإطلاق»(١).

■ ٢) **قبول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهديتهم:**

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: لما فُتحت خيبر أُهدَيت لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شاة فيها سُمّ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اجمعوا إلي من كان ها هنا من يهود. فجمعوا له فقال: إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقيّ عنه؟ فقالوا: نعم، قال لهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من أبوكم؟ قالوا: فلان. فقال: كذبتم، بل أبوكم فلان. قالوا: صدقتَ. قال: فهل أنتم صادقيّ عن شيء إن سألتُ عنه؟ فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذَبْنا عرفت كَذِبَنا كما عرفتَه في أبِينا. فقال لهم: مَن أهل النار؟ قالوا: نكون فيها يسيرًا، ثم تخلُفُونا فيها. فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اخسئوا فيها والله لا نخلُفُكم فيها أبدًا، ثم قال: هل أنتم صادقيّ عن شيء إن سألتكم عنه؟ فقالوا: نعم يا أبا القاسم، قال: هل جعلتم في هذه الشاة سُمًّا؟ قالوا: نعم. قال: ما حمَلَكم على ذلك؟ قالوا: أردْنَا إن كنتَ كاذبًا نستريح، وإن كنتَ نبيًّا لم يضُرَّك**»(٢).

والشاهد أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبِل الهدية من غير المسلمين، وهذا يدلُّ على الانسجام في التعايش، رغم مخالفتهم في العقائد، ومخالفتهم لما جاء به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومكرهم وخداعهم، وعدم صدقهم، وخيانتهم.

---

(١) قال ابن بطَّال: إنما تُشرع عيادته إذا رجا أن يجيب إلى الدخول في الإسلام، فأما إذا لم يطمع في ذلك فلا. وقال ابن حجر: والذي يظهر أن ذلك يختلف باختلاف المقاصد فقد يقع بعيادته مصلحة أخرى. وقال الماوردي: عيادة الذمي جائزة والقربة موقوفة على نوع حرمة تقترن بها من جوار أو قرابة. راجع فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي، (ط.دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩) (١٠/ ١١٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم، ٣١٦٩، كتاب أبواب الجزية والموادعة، باب باب إذا غدر المشركون بالمسلمين هل يعفى عنهم، (٣/ ١١٥٦).

■ **٣) تعامل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معهم بالاستدانة والرهن:**

انساب التعايش في الوطن مع غير المسلمين بصورة فائقة، فقد تسامح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع اليهود في المعاملات المالية رغم نكثهم وخيانتهم، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: «توفي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعًا من شعير»(١).

وهذا الحديث يدلُّ على مدى عمق التواصل المجتمعي والتعايش مع غير المسلمين تحت مفهوم المُواطَنة وبعيدًا عن الموالاة.

■ **٤) قيام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجنازتهم واحترام آدميتهم:**

قام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متسامحا لجنازة يهودي، وتعامل معهم على أساس إنساني ومفهوم تعايشي، فعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**مرَّ بنا جنازة، فقام لها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقمنا معه، فقلنا: يا رسول الله، إنها جنازة يهودي، قال: إذا رأيتم الجنازة فقوموا**»(٢).

ويترجم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن سرّ قيامه بعِلَّة تقدير الكرامة الإنسانية في حديث عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: «كان سهل بن حنيف وقيس بن سعد قاعدين بالقادسية، فمروا عليهما بجنازة فقاما، فقيل لهما: إنها من أهل الأرض - أي من أهل الذمة - فقالا: إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرَّت به جنازة فقام، فقيل له: إنها جنازة يهودي. فقال: أليست نفسًا؟!»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم ٢٩١٦، كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في درع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والقميص في الحرب، (٣/ ١٠٦٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم ١٣١١، كتاب الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي، (٣/ ١٠٦٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم ١٣١٢، كتاب الجنائز باب من قام لجنازة يهودي، (٣/ ٥٨).

وبذلك تعامل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع غير المسلمين في الدولة على أساس المُواطَنة القائمة على العلاقات الإنسانية بين بني آدم.

■ **٥) وثيقة المدينة وترسيخ الأمن الاجتماعي من خلال التسامح:**

إن وثيقة المدينة هي أعظم الوثائق الدستورية الإسلامية في الدولة الإسلامية لحقوق المُواطَنة منذ بزوغ شمسها بالمدينة المنورة (سنة ١ هجرية وسنة ٦٦٢ ميلادية)، **ومما جاء في وثيقة المدينة:**

«وإنه من تَبِعَنا من يهود، فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم... وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يهود بني عوف أُمّة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم ومواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يُوتِغُ إلا نفسَه وأهلَ بيته، وإن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بن عوف، وإن ليهود بني جُشَم مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني الأَوْس مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف، إلا من ظَلَم وأَثِم فإنه لا يُوتِغ إلا نفسَه وأهلَ بيته، وإنَّ جَفْنَةَ بَطْنٌ من ثعلبة كأنفسهم، وإن لبني الشَّطِيبَة مثل ما ليهود بني عوف، وإن البِرَّ دون الإثم، وإن موالي ثعلبة كأنفسهم، وإن بِطَانة يهود كأنفسهم، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنه لا يُنحَجَزُ على ثَأْرٍ جُرْحٌ، وإنه من فتَك فبنفسه فتَك وأهل بيته إلا من ظَلَم.

وإن الله على أبَرِّ هذا، وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصرَ على من حاربَ أهلَ هذه الصحيفة، وإن بينهم النصحَ والنصيحةَ والبِرَّ دون الإثم، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم، وإن اليهود

يُنفِقون مع المؤمنين ما داموا مُحارَبين»[1].

وكانت تلك الوثيقة نقطة انطلاق لعدة حقوق كفلها الإسلام لغير المسلمين، في صورة تسامحية تُرسِّخ مفهوم المُواطَنة باتساع شديد؛ ليستوعب غير المسلمين على الأساس الإنساني عالية لا تُرى في أيّة مِلّة أو نِحْلة.

ثالثا: تحقيق مفهوم المُواطَنة بين المسلمين والآخر بشكل آمن:

«سخَّر الله بتسامح النبي ﷺ قلوب الناس له، حتى زجَّ فيها عناصر الأخلاق واحدًا تلو الآخر، وأقام وطَن الإسلام على التسامح والبِرّ والوئام، ومن يلج مسير التاريخ يُدهَش في وقائعه وهو يستقرئ بين دفتيه كثيرًا من هذه المَشاهد التي حطَّت ركاب القلوب عند طاعة النبي ﷺ مستسلِمة وخاضِعة.

وذلك التسامح هو ضمانة بقاء غير المسلمين في الوطن الإسلامي ليعيشوا فيه حياة كريمة، فقد شملهم الإسلام بيُسره ورِفقه؛ فتسامح معهم في كثير من القضايا والأحكام، ومنحهم كثيرًا من الحقوق»[2]، وفي حادثة «ثُمَامَة» وإسلامه شاهد عظيم يُثبِت أن مثل هذا الموقف لم يك عابرًا ولا وحيدًا، وأن تسامح النبي ﷺ مع غير المسلمين في الوطن الإسلامي ثابت لا يتغير، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**بعَثَ النبي ﷺ خيلًا قِبَل نَجْد؛ فجاءت برَجُل من بني حنيفة يقال له (ثُمَامَة بن أُثال)، فربطوه بسارية من سواري المسجد؛ فخرج إليه النبي ﷺ فقال: (ما عندك يا ثُمامَة)؟ فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تُنعِم تُنعِم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئتَ، فتُرِك حتى كان الغد فقال: (ما عندك يا ثمامة)؟ فقال: ما قلتُ لك، إن تُنعِم**

(١) السيرة النبوية لابن هشام، المعافري، (٣/ ٣٣).

(٢) الاستعانة بغير المسلمين، لطريقي، (١/ ١٨).

تُنعِم على شاكر، فتركه حتى كان بعد الغد، فقال: (ما عندك يا ثمامة) ؟ فقال: عندي ما قلتُ لك، فقال: (أَطْلِقُوا ثُمامَة)، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل، ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، يا محمد، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إليّ، والله ما كان من دين أبغض إليّ من دينك، فأصبح دينك أحبّ دين إليّ، والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك، فأصبح بلدك أحبّ البلاد إليّ، وإنَّ خَيْلَك أخذتني وأنا أريد العُمرة؛ فماذا ترى؟ فبشَّرَه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمره أن يعتمر؛ فلَمَّا قَدِم مكة قال له قائل: صبوتَ؟!، قال: لا، ولكن أسلمتُ مع محمد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبَّة حِنْطة حتى يأذن فيها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[1].

إنها مشاهد تُبرز عَظَمة الإسلام في مراعاة حقوق غير المسلمين والتسامح معهم، وبهذا التسامح فتَحَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قلوبًا تلَهَّت بعبادة الحجارة والأوثان، وتلذَّذت بتُرَّاهات الجاهلية، وشهد التاريخ بذلك.

۞ رابعا: تحقيق حقهم في التقاضي ودفع الظلم عنهم:

قال تعالى: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢]، فإن لم يتحاكموا إلينا، كان عليهم أن يتحاكموا إلى شرائعهم ما دامت تنتمي عندهم لأصل إلهي، قال تعالى: ﴿وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم ٢٤٢٢، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال، (٤/ ١٥٨٩).

ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ [المائدة: ٤٣][1].

وهذا تطبيق واضح لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة: ٨].

أي: «لا يحمِلَنَّكم بُغْض أقوام على ترك العدل، فإن العدل واجب على كل أحد، في كل أحد في كل حال، وقال بعض السلف: ما عاملتَ من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه، والعدل به قامت السماوات والأرض. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا سَهْلُ بن عثمان، حدثنا عبدُ الله بن جعفر، عن زيد بن أسلم قال: «كان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بالحديبية وأصحابه حين صدَّهم المشركون عن البيت، وقد اشتدَّ ذلك عليهم، فمرَّ بهم أناس من المشركين من أهل المشرق، يريدون العمرة، فقال أصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: نصُدّ هؤلاء كما صدَّنا أصحابُهم، فأنزل الله هذه الآية»[2].

«فعاشوا فى أكنافها محاطين بنعمة العدل والإنصاف من المسلمين؛ وذلك لِما نحمله من قيم ومبادئ عظيمة وأحكام عادلة لأهل الذمة يعجز الغرب والشرق أن يعمل مثلها، فإذا بهم يعيشون في رغد من العيش، فالعدل في حقيقته تجسيد لأفكار الرسالة ومثلها الأعلى، وبقاؤها المحور الذى يدور في فلكه الأشخاص والأشياء»[3].

---

(١) الإيمان بالقرآن الكريم والكتب السماوية، الصَّلاَّبي (١/ ٩٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٢/ ١٢).

(٣) الكيلاني، أهداف التربية الإسلامية فى تربية الفرد وإخراج الأمة وتنمية الأخوة الإنسانية، صـ ٣٢١، ٣٢٢.

والتاريخ الإسلامي المجيد زاخر بمواقف عملية كثيرة تُؤكِّد وتُطبِّق قيمة العدل العظيمة، ويشهد لذلك أيضا موقفُ يهود الدونمة، عندما وقع عليهم الظُّلم والخَسْف في محاكم التفتيش.

قرَّر الإسلام الحماية القانونية للمواطنين من غير المسلمين، وكفل لهم المساواة أمام القضاء، وظهر ذلك عندما «جاء رجل من أهل مصر إلى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال له: يا أمير المؤمنين، لقد تسابقتُ مع ابن عمرو بن العاص والي مصر، فسبقتُه فضربنى بسوطه، وقال لى: أنا ابن الأكرمين. فكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص: إذا أتاك كتابي هذا فلتحضر إلي ومعك ابنك، فلما حضرَا أعطى عمر بن الخطاب السوط للرجل المصري ليضرب ابن عمرو قائلا له: (دونك الدُّرَّة فاضرب ابن الأكرمين)!!»[1].

وقد كفَلَ الإسلامُ غير المسلمين داخل الواطن الإسلامي في التقاضي، «فعن إبراهيم بن يزيد التيمي، عن أبيه قال: وجد علي بن أبي طالب دِرْعًا له عند يهودي التقطها فعرفَها فقال: دِرْعي سقطَتْ عن جَمَل لي أَوْرَق، فقال اليهودي: دِرْعي وفي يدي. ثم قال له اليهودي: بيني وبينك قاضي المسلمين، فأتوا شُريحًا، فلما رأى عليًّا قد أقبل تحرَّف عن موضعه وجلس علي فيه، ثم قال علي: لو كان خصمي من المسلمين لساويته في المجلس، ولكني سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **(لا تُساووهم في المجلس وألجِئُوهم إلى أضيق الطرق، فإن سَبُّوكم فاضربوهم، وإن ضربوكم فاقتلوهم)**.

ثم قال شُرَيح: ما تشاء يا أمير المؤمنين؟ قال: دِرْعي سقطت عن جمل لي أَوْرَق والتقطها هذا اليهودي، فقال شُرَيح: ما تقول يا يهودي؟ قال: درعي وفي

(١) مناقب عمر، ابن الجوزى، صـ٩٨، ٩٩.

يدي. فقال شُرَيح: صدقتَ والله يا أمير المؤمنين أنها لَدِرْعُك، ولكن لا بد من شاهدَيْن، فدعَا قَنْبَرًا مولاه والحَسنَ بن علي، وشهدَا أنها لَدِرْعُه، فقال شُرَيْح: أما شهادة مولاك فقد أجزناها، وأما شهادة ابنك لك فلا نُجِيزها. فقال علي: ثكلتك أمك، أما سمعتَ عمر بن الخطاب يقول: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الحسن والحسين سيِّدَا شباب أهل الجنة؟ قال: اللهم نعم. قال: أفلا تجيز شهادة سيد شباب أهل الجنة؟! والله لأوجهنك إلى بَانْقِيَا تقضي بين أهلها أربعين يومًا.

ثم قال لليهودي: خذ الدِّرْع، فقال اليهودي: أمير المؤمنين جاء معي إلي قاضي المسلمين، فقضى عليه ورضي! صدقتَ والله يا أمير المؤمنين، إنها لَدِرْعُك سقطَتْ عن جملٍ لكَ التقطتُها، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فوهبها له عليٌ وأجازه بتسعمائة، وقُتِل معه يوم صِفِّين - السياق لمحمد بن عون- وقال عبد الله بن سليمان: فقال علي: الدِّرْع لكَ، وهذا الفرس لكَ، وفرَضَ له في تسعمائة، ثم لم يَزَل معه حتى قُتِل يوم صِفِّين»[1].

❊ ❊ ❊

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الأصبهاني، وقال عنه: غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ الْأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ، تَفَرَّدَ بِهِ حَكِيمٌ، وَرَوَاهُ أَوْلَادُ شُرَيْحٍ عَنْهُ عَنْ عَلِيٍّ نَحْوَهُ (٤/ ١٣٩)، وذكره الصنعاني، محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني، في سبل السلام، (٤/ ١٢٥)، وورد في كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري، (٧/ ٢٦).

الخاتمة

من خلال التطواف العلمي السابق، يظهر لنا جليًّا أثرُ التسامح في ترسيخ الأمن الاجتماعي بكل أشكاله، ومن خلال ما سبق نَصِل إلى عِدّة نتائج وتوصيات:

أولًا: أهمُّ النتائج:

١) **أنَّ الإسلام كفَلَ بتسامحه أمْنَ المجتمعات**، وانتظمت تحت منهاجه كافَّةُ أنساقها على اختلاف لغاتها وعقائدها وتوجهاتها، بضوابط الإسلام التي ضمنت تحقيق الأمن.

٢) **عالجَ الإسلام بالتسامح والبِرِّ والقِسط** مشكلات غير المسلمين في المجتمعات الإسلامية، وضَمِن حقوقهم وأحسَنَ إليهم.

٣) **ليس الأمن الاجتماعي على أساس التسامح موقوتًا بتاريخ**، أو مُحدَّد بزمان، أو مرتبط بحقبة تاريخية معينة، بل هو تشريع ربَّاني أصيل يشمل الزمان (أيّ زمان)، والمكان (كُلّ مكان)، ولو راجَعْنا التاريخَ وجَدْنا ذلك.

٤) **أنَّ القرآن والسنة النبوية** يؤكدان انسيابية ممارسة التسامح والأمن مع غير المسلمين المُسالِمين، ويشهد لذلك واقع المجتمع الأول وبإشراف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتي جاءت مضامينها في السنة النبوية.

ثانيًا: أهمُّ التوصيات:

١) **عَقْد ندوات ومؤتمرات عالمية يُدعى فيها كُلُّ أصحاب الديانات والنِّحَل**؛ لكشف حقيقة الإسلام في ترسيخ مفهوم الأمن الاجتماعي، بالتسامح مع

كل الأنساق على اختلافها.

٢) **تكثيف الجهود العلمية من قِبَل المؤسسات الحكومية والخيرية والإعلامية،** في إبراز تأكيد الإسلام للتسامح والعيش الآمن في الأوطان تحت ظلاله.

٣) **إصدار منشورات تثقيفية لعناصر المنظومة المجتمعية،** تدعو إلى التسامح داخل الأوطان تحقيقًا للأمن والنهوض والتوافق، ونبذ الخلاف والافتراق.

وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

❊ ❊ ❊

المصادر والمراجع

١. **شرح صحيح البخارى**، ابن بطال (أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، (ط. مكتبة الرشد – السعودية، طبعة ثانية ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م).

٢. **مناقب عمر**، ابن الجوزي، (ط. دار الكتب العلمية، بدون تاريخ).

٣. **جوامع السيرة**، ابن حزم علي بن أحمد بن سعيد، الأندلسي، الظاهري، تحقيق إحسان عباس (ط. دار المعارف – مصر، ط. أولى، بدون تاريخ).

٤. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي، (ط.دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩).

٥. **زاد المعاد**، ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر، (ط. مؤسسة الرسالة، بيروت).

٦. **البداية والنهاية**، ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، (ط. مكتبة المعارف، بيروت، بدون تاريخ).

٧. **«الخراج»**، أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، (ط.دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ).

٨. **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، تحقيق سامي بن محمد سلامة، (ط. دار طيبة للنشر والتوزيع، طبعة ثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م).

٩. **سنن ابن ماجه،** ابن ماجه، (المكتبة العلمية، بيروت، بدون تاريخ).

١٠. **سنن أبي داود،** أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، (ط. دار الكتاب العربي بيروت، بدون تاريخ).

١١. **المجتمع الإنساني فى ظل الإسلام،** أبو زهرة، محمد، (ط. الدار السعودية للنشر والتوزيع- جدة، طبعة ثانية، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م).

١٢. **الفروق،** أبو العباس أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق عمر حسن القيام، (مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م).

١٣. **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)،** أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (دار الكتب المصرية – القاهرة، طبعة ثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م).

١٤. **مسند الإمام أحمد بن حنبل،** أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مسند الأنصار، مؤسسة الرسالة، ط. ثانية ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م).

١٥. **فتح الباري شرح صحيح البخاري،** أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، (ط. دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩).

١٦. **القاموس السياسي،** أحمد عطية الله، (ط. دار النهضة العربية، ط. ثانية، سنة ١٩٦٨م).

١٧. **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،** الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران، (ط. السعادة، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م).

١٨. **صحيح الترغيب والترهيب**، الألباني، محمد ناصر الدين، (مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة: الخامسة).

١٩. **الجامع الصحيح المختصر**، البخاري (محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي) تحقيق: مصطفى ديب البغا، (ط.دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، ط. ثالثة، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧م).

٢٠. **معالم التنزيل**، البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، تحقيق: محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، (ط. دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م).

٢١. **فتوح البلدان**، البلاذي، (ط القاهرة سنة ١٩٣٢م).

٢٢. **سنن البيهقي الكبرى**، البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (ط. دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤ – ١٩٩٤).

٢٣. **شعب الإيمان**، البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، (ط. دار الكتب العلمية – بيروت، طبعة أولى، ١٤١٠هـ).

٢٤. **مشكاة المصابيح**، التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، (ط. المكتب الإسلامي – بيروت، ط. ثالثة – ١٤٠٥ – ١٩٨٥م).

٢٥. **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، كتاب المناقب، باب فضل مكة

(ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون تاريخ).

٢٦. **التعريفات**، الجرجاني، علي بن محمد بن علي، تحقيق: إبراهيم الأبياري (ط. دار الكتاب العربي – بيروت، طبعة أولى، ١٤٠٥هـ).

٢٧. **المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام**، جواد علي، (ط. دار الساقي، طبعة رابعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

٢٨. **المستدرك**، الحاكم، (ط دار المعرفة – بيروت، بدون تاريخ).

٢٩. **نظرية القيم السياسية**، حامد ربيع، (مكتبة القاهرة الحديثة، سنة ١٩٧٢م).

٣٠. **مجموعة الوثائق السياسية، في العهد النبوي والخلافة الراشدة**، حميد الله، (ط القاهرة سنة ١٩٤١م).

٣١. **الأعلام**، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، (ط. دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر، ٢٠٠٢م).

٣٢. **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري (ط. دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، طبعة أولى، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م).

٣٣. **مختار الصحاح**، الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، تحقيق: محمود خاطر (ط. مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، طبعة جديدة، ١٤١٥ – ١٩٩٥).

٣٤. **عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين**، رضا، محمد رضا، (ط دار الكتب العلمية، ط ثالثة، سنة ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م).

٣٥. **مناهل العرفان في علوم القرآن**، الزرقاني، محمد عبد العظيم، (ط. عيسى البابي الحـلبي، طبعة ثالثة، بدون تاريخ).

٣٦. **نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار**، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، (ط. إدارة الطباعة المنيرية، بدون تاريخ).

٣٧. **العدالة الاجتماعية في الإسلام**، سيد قطب، (ط.دار الشروق: القاهرة، ٢٠٠٢).

٣٨. **الإيمان بالقرآن الكريم والكتب السماوية**، الصلابي، عَلي محمد محمد، (المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط. أولى، بدون تاريخ).

٣٩. **في سبل السلام**، الصنعاني، محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني، (ط. الباب الحلبي، ط. الرابعة ١٣٧٩هـ، ١٩٦٠م).

٤٠. **تاريخ الأمم والملوك**، الطبري، (ط القاهرة، سنة ١٩٧٩م).

٤١. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (نشر جمعية إحياء التراث الإسلامي الكويت، ١٤٢٢هـ الموافق ٢٠٠١م).

٤٢. **الاستعانة بغير المسلمين**، عبد الله الطريقي، (ط. رئاسة إدارات البحوث العلمية، الرياض، بدون تاريخ).

٤٣. **السيرة النبوية لابن هشام**، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، (الناشر دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ).

٤٤. **الموسوعة السياسية**، عبد الوهاب الكيالي، (المؤسسة العربية للدراسات

والنشر، ط. أولى، سنة ١٩٨٧م).

٤٥. **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري، تحقيق: بكري حياني (ط. الرسالة، ط. الخامسة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

٤٦. **كتاب العين، باب الطاء والنون**، الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، (ط.دار ومكتبة الهلال، بدون تاريخ).

٤٧. **في ظلال القرآن**، قطب، سيد قطب، (القاهرة دار الشروق، ط ٢٥، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م).

٤٨. **أهداف التربية الإسلامية فى تربية الفرد وإخراج الأمة وتنمية الأخوة الإنسانية**، ماجد عرسان الكيلاني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة إسلامية المعرفة ٢٠، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م).

٤٩. **نظم الأمن والعدالة فى الإسلام**، محمد الحسيني عبد العزيز. (ط. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٢).

٥٠. **المجتمع الإسلامي وأصول الحكم**، محمد الصادق عفيفي، (ط.دار الاعتصام – القاهرة، ط. أولى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).

٥١. **لسان العرب، باب قلل**، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، (ط. دار صادر – بيروت، ط. أولى، بدون تاريخ).

٥٢. **الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم**، مسلم، أبو الحسين بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، (دار الجيل بيروت، د. ت).

٥٣. **النسائي**، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، (مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، طبعة ثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦).

٥٤. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، الهيثمي (نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي) (دار الفكر، بيروت – ١٤١٢ هـ).

٥٥. **المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، النووي، يحيى بن زكريا، (ط.دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان).

٥٦. **بحوث في الإسلام والمجتمع**، وافي، علي عبد الواحد، (ط القاهرة سنة ١٩٧٧م).

٥٧. **الموسوعة الفقهية**، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، (الكويت، ط. ثانية، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م).

❊ ❊ ❊

الفهرس

الموضـــــــــــــــــــــوع	رقم الصفحة
ملخص البحث	١٨٧
المقدمة	١٨٨
التمهيد: تحديد المفاهيم	١٩٢
■ أولًا: مفهوم التسامح لغةً وعُرفًا	١٩٢
■ ثانيا: الأمن الاجتماعي	١٩٣
المبحث الأول: أثر التسامح في التكوين الآمن لعناصر المجتمع	١٩٥
■ أولًا: تحقيق الأمن المعيشي للفرد وانعكاسه على المجتمع	١٩٥
■ ثانيًا: التسامح وتحقيق الأمن المالي للفرد	١٩٧
■ ثالثًا: التسامح الأُسريّ وأثره في تحقيق الأمن الاجتماعي	١٩٩
■ رابعاً: أثر التسامح في ترسيخ الأمن في المجتمع كله	٢٠٢
المبحث الثاني: أثر التسامح الدعوي في ترسيخ الأمن الاجتماعي	٢٠٨
■ أولًا: التسامح وسيلة الأنبياء في تأمين مجتمع الدعوة إلى الله	٢٠٨
■ ثانيا: من صور التسامح وأثره في أمن المجتمع	٢١١
المبحث الثالث: أثر التسامح مع الآخر في ترسيخ الأمن الاجتماعي	٢١٦
■ أولًا: تحقيق الأمن الاجتماعي في ظل المودة والرحمة بين المسلمين وغيرهم	٢١٦
■ ثانيا: تحقيق الانسجام والتعايش السلمي	٢١٧
■ ثالثا: تحقيق مفهوم المُواطَنة بين المسلمين والآخر بشكل آمن	٢٢١
■ رابعا: تحقيق حقهم في التقاضي ودفع الظلم عنهم	٢٢٢
الخاتمة	٢٢٦
المصادر والمراجع	٢٢٨
الفهرس	٢٣٥